بقلم: إنعام رعد

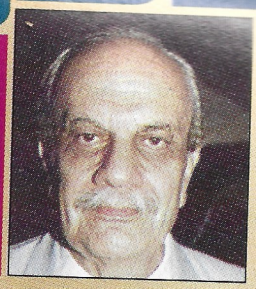

مناقشة بنوية لحاضرة الفاتيكان

اما آن الاوان لادانة المحرقة الصهيونية؟

تنصبت الصهيونية محاكم تفتيشها لمحاكمة الغرب الاوروبي الذي احتضنها واعانها وساند مشروعها، من بلفور الى حرب السويس الى الترسانة النووية في ديمونا قبل ان تتلفقها الولايات المتحدة وتحتضنها هذا الاحتضان المنحاز الذي لم يسبق له مثيل.

فقد نصبت محاكم تفتيشها في اوروبا بعد قرون من انهيار محاكم التفتيش الاوروبية. وشعب بعد شعب عليه ان يعتذر باذلال من الصهيونية عن جرائم لم يرتكبها هو بل نيابة عن هتلر الذي دحر وقُبر قبل خمسين عاماً على الاقل وحوكم اعوانه وأعدموا ودمرت المانيا بسببه. وكان اركان الحكومات والاحزاب الاوروبية الراهنة في سجونه ومنافيه اذ كانوا خصومه ولم يكونوا من اعوانه. ومع ذلك تأبى الصهيونية و مؤتمرها اليهودي العالمي الا ان يعتذر خصوم هتلر عما ارتكبه هتلر.

وآخر المعتذرين رئيس فرنسا شيراك بينما الرئيس ديغول هو بطل تحرير فرنسا من الاحتلال النازي. فمن المانيا الفيدرالية الديمقراطية التي انبثقت من هزيمة النازية ودفعت مليارات الماركات تعويضاً لاسرائيل وما انفكت تعتذر وتعتذر دون غفران، الى سويسرا المتهمة بالتواطؤ مع النازيين في سرقة اموال اليهود الى فرنسا فيحاكم تاريخها ويطالب منها الاعتذار، وهي وارثة ديغول عدو النازية والتي لم يعتذر رؤساؤها من ديغول الى ميتران عما كانوا ضده وحاربوه، سواء اكان نازياً او فاشياً، الى النمسا التي وقف رئيسها يعتذر قبل شهرين من نتانياهو.

اوروبا في قفص الاتهام الصهيوني بعد كل مؤازرتها لاسرائيل، وهي التي اطعمتها من لحمها مليارات الدولارات والاسلحة ولم تزل تطعمها في اتفاقيات التجارة الحرة والمشاركة في التكنولوجيا العالية والافضليات الاقتصادية.

الاّ ان الصيد الثمين للصهيونية هو الكنيسة الغربية الكاثوليكية وحاضرتها في الفاتيكان. فلم تشغل حاضرة الفاتيكان مسألة مثل عقدة الذنب ازاء ما لم ترتكبه لا هي ولا المسيحيون وينسب اليهم في حملة الضغط والابتزاز اليهودية. فقد جوبهت الكنيسة منذ سنوات بتهمة المسؤولية، هي الاخرى، عمّا حلّ باليهود في اوروبا وكأنها متواطئة مع النازيين، وبعد نصف قرن على انقراضهم، ولماذا لان تعاليمها تعلّم، حسب الصهيونية، الحقد على اليهود استناداً الى ما جاء في الانجيل حول صلب المسيح.

وخرجت الكنيسة عن نص الانجيل وما روى من صراخ اليهود: «دمه علينا وعلى اولادنا» في مطالبتهم بصلبه، فأعفتهم من دم المسيح وباركتهم وغفرت لهم قبل ثلاثين عاماً.

لكن هم لم يغفروا، طالبوا الكنيسة بمواقف منحازة لهم وطالبوها بالاعتذار تلو الاعتذار تكفيراً عن اخطاء لم ترتكبها. كما طالبوا اوروبا بالتكفير والاعتذار عن جرائم ليست شعوبها مسؤولة عنها. فتلك هي حملة الابتزاز بقصد ربطها جميعاً بالمصالح الصهيونية.

وخلال هذا العام صدر اكثر من موقف وتكلم البابا يوحنا بولس الثاني في اكثر من ندوة عُقدت في الفاتيكان خصوصاً لهذا الموضوع. ففي ١٢ نيسان الماضي تحدث البابا امام «مجمع العقيدة والتوراة» فحمّل قداسته ما لحق باليهود في اوروبا لصمت الكنيسة و«الميل الى الفصل والتناقض بين العهدين القديم والجديد خلال قرون من الاحكام المسبقة والمعارضة المتبادلة»، ودعا الى اعتبار «المسيح هو الابن الحقيقي لاسرائيل ومتجذر في التاريخ الطويل لشعبها».

ويبدو ان هذا كله، لم يكن كافياً فعُقدت في مطلع شهر تشرين الثاني الجاري خلوة في الفاتيكان شارك فيها ستون اسقفاً وخبيراً لبحث «اسباب العداء المسيحي ضد اليهود»، وفي كلمة قداسة البابا امام هذه الخلوة اعتبر ان مصدر هذا العداء تفسيرات خاطئة وغير عادلة لكتاب العهد الجديد تتعلق بالشعب اليهودي وانه مذنب»، وبالتالي ان «مشاعر العداء» هذه هي المسؤولة عن عدم مقاومة الاضطهادات التي وقعت على اليهود قبل نصف قرن ويزيد. واعتبرت الخلوة في ختامها «ان المسيحيين الذين ينجرفون وراء مشاعر معاداة اليهودية يرتكبون اساءة في حق الله والكنيسة».

وكان اسقف باريس جان ماري لوستيجييه قد سبق الخلوة وقدم اعتذار الكنيسة الفرنسية لحاخام يهود فرنسا جوزيف سيروك قبل شهر من انعقاد خلوة الفاتيكان.

كل هذه الاعتذارات تمّت والمؤتمر اليهودي العالمي يدرس تقريراً اميركياً حول تهريب الفاتيكان اموالاً تخص اليهود ابّان الاحتلال النازي. وهي تهمة باطلة أُريد ان تكون من اسلحة الضغط قبل الخلوة لان المقصود كان اصدار بيان عن البابا يدين فيها مسؤولية الكنيسة عن اضطهاد اليهود. وهو ما حاول تلافيه مع تكرار الاعتذارات. فما ان صدرت حتى حملت الصحف الاسرائيلية على البابا ووصفت «معاريف» ما حصل بـ«ان البابا فوّت فرصة تاريخية للتعويض عن الجرائم التي ارتكبتها الكاثوليكية ضد اليهود».

هذا الجانب من الغزوة الصهيونية لمعاقل اوروبية روحية وزمنية غائب كلياً عن العالم العربي، وكأن الامر لا يعنينا ان يتوصّل عدو امتنا الغاصب لارضنا وحقوقنا والمستهدف حضارتنا ووجودنا ان يسلب اماماً وشعوباً ومراجع دينية عالمية ارادتها بالضغوط المركزة، لتصبح هي وليس فقط حكوماتها وراء حملته المعادية لقضيتنا ولو بدون قصد!

لقد حاولنا في مجمع عربي اسلامي كريم هو المؤتمر القومي الاسلامي الذي عقد في بيروت ان نلفت الحضور الكرام، وهم من نخبة عربية واسلامية الى هذا الباب ودعونا الى اعداد مذكرة الى الفاتيكان لا سيما ان البابا كان قد اعلن قبل اسبوع ان ثمة شعوباً اخرى غير اليهود تعرّضت للابادة، مما يتيح الاضاءة على مأساة الشعب الفلسطيني المتعرض، هو، منذ اكثر من نصف قرن لابادة منهجية بالمجازر والاقتلاع وسلبه الارض والحياة والحقوق. فجريمة النازية انتهت قبل نصف قرن وحوكم اقطابها واعدموا، اما جرائم الصهيونية فمستمرة منذ اكثر من نصف قرن حتى اليوم واصحابها يُثابون فيكرّمون ويُدعمون بدون حدود. وكأنما قتل شعبنا وازهاق ارواح ابناء امتنا وسلبنا الارض والحقوق امر مطلوب وشأن مرغوب فيه وعدوان مرخّص به ومأذون به، لكن مؤتمراتنا في الشرق يطيب لها ان تصدر البيانات التي تخاطب نفسها ولا تخاطب الآخرين.

وهكذا لم يتحرك احد ازاء هذا التحدي.

ان الاشكالية التي اعتبرتها حاضرة الفاتيكان هي المسؤولة ووصفها البابا بميل بعض المسيحيين «للفصل والتناقض بين العهدين القديم والجديد»، بمعنى اعتبار انجيل المسيح لا يمتّ لتاريخ بني اسرائيل في التوراة، فحمّل اللاهوت المسيحي اوزاراً، نجد ان لشخصيات يهودية معروفة ومرموقة رأياً في التوراة والتلمود نقدياً ومخالفاً لهذا الالحاح في غرس المسيحية فيهما كأنهما اساس البركة والخلاص.

ونورد الوقائع التي حصلت في ايام متقاربة من الخلوة الفاتيكانية:

اولاً: ذلك ان الجواب عن هذا الجلد للذات يأتي من مصادر يهودية واسرائيلية بالذات. فازرائيل شاهاك المفكر والمناضل اليهودي الاسرائيلي ضد الصهيونية يقول في كتابه «الديانة اليهودية التاريخ اليهودي - وطأة ثلاثون سنة» الصادر في لندن في ١٩٤٤ ان اساس العنصرية الصهيونية - نعم هكذا وليس العنصرية النازية هذه المرة - هو في التراث التلمودي الذي يعلّم كره الشعوب الاخرى واعتبارها الغوييم ونظرية «الشعب المختار» العنصرية.

ويقول رئيس الكيان الاسرائيلي عازار وايزمن، وهو من القادة الصهاينة الذين حاربوا حروب اسرائيل وكان قائداً لسلاح الطيران في عدوان حزيران ١٩٦٧ وكان وزير الدفاع وأحد ابرز اقطاب اسرائيل ورئيسها الحالي، يقول يوم افتتاح الخلوة الفاتيكانية، في ٣١ تشرين الاول ١٩٩٧، التي تبحث عن اسباب العداء المسيحي لليهود في الفهم المغلوط للانجيل، يقول وبمعزل عن هذا الهمّ، وفي ندوة عُقدت في القدس المحتلة بالنص. «هناك امور غير لطيفة على الاطلاق في التوراة لا يجدر بنا قراءتها» واشار الى «اقوال النبي موسى في الفصل الـ ٣٢ من سفر التثنية «التي يدين فيها بغضب شديد اعداء الشعب اليهودي ويعد بالقضاء عليهم في حمام من الدم». طبعاً هذه الصحوة عند وايزمن تأتي متأخرة اربعين سنة على الاقل من حمامات الدم الاسرائيلية ضد العرب، لكنها تأتي من رئيس دولة اسرائيل وحول ما شحنت به التوراة اليهودية من تحريض عنصري دموي على الشعوب الاخرى.

ثانياً: ان رئيس الحكومة الاسرائيلية، بدوره، مارس «اضطهاد اليهود»! فنتانياهو اعتبر اليهود الذين يخالفونه الرأي السياسي «انهم نسوا انهم يهود» وشكك بيهودية نصف سكان اسرائيل!

وفي جلسة الكنيست الاسرائيلي في ١٠/٢٧ وقف نواب حزب العمل يحملون لافتات في قلب الجلسة مكتوب عليها «انا فخور بيهوديتي» ... هذا لم يجر في بلد يضطهد اليهود. هذا جرى في الكيان الاسرائيلي، ومن قبل رئيس الحكومة الذي شكك في يهودية معارضيه مما اضطرهم الى الافصاح عن يهوديتهم على نحو من التحدي!!

هل نعتذر لحزب العمل عن نتانياهو ام لنتانياهو عن حزب العمل؟

ام ان الاعتذارات مطلوبة من غير اليهود؟

بينما اليهود يمارسون العنصرية بحق الشعوب وبحق اليهود الآخرين ايضاً!

ثالثاً: وقبل يوم من حديث وايزمن نُشر تحقيق عن قضية الاطفال اليمنيين المفقودين في الكيان الصهيوني بعد عثور امرأة على بنت لها وثبوت البنوّة بفحص مخبري. وهي واحدة من الوف الاطفال اليمنيين اليهود الذين سلخوا عن ذويهم عند وصولهم بالهجرة الى الكيان الاسرائيلي والحقوا بعائلات اليهود الاوروبيين بعدما قيل لذويهم ان اطفالهم قد ماتوا. واخذت الكذبة تنجلي عن فضيحة حين قامت لجنة تحقيق بالكشف عن القبور الفارغة.

هل هذا اسلوب نازي؟ ماذا تقول الكنيسة في سرقة الاطفال من ذويهم، هل اختصرت استباحة حقوق الانسان بما يحصل في اوروبا ام الكنيسة تهتم بالانسان في كل مكان؟

واذا كان هذا ما يفعله اليهود بعضهم ببعض، فكيف بما انزلوه بالشعب الفلسطيني، وهو ما تضيق به مجلدات ومجلدات؟

رابعاً: البابا اعتذر من البروتستانت لما عوملوا به. وهذا كبر وسمو روحي. وطلب الغفران بسبب تورط المسيحيين في «تجارة العبيد» وهذا ايضاً نبل انساني.

فهل تأمّل قداسته بما تؤدي اليه من نتائج تصريحاته وندواته المستمرة حول اليهود والاساءة اليهم دون ذكر ما يسيء به اليهود في حركتهم الصهيونية الى امتنا وشعبنا وشعوب العالم العربي، واذا كان السكون والصمت ازاء النازية اعتبر جريمة فكيف بالتأييد والتبرير والاعتذار ممن يرتكبون جريمة ابادة الشعب الفلسطيني والعدوان المستمر على الشعب اللبناني واغتصاب الارض والحقوق العربية، واكثر من ذلك كله، تهويد القدس يا قداسة البابا، نعم تهويد القدس التي بدونها يندك مهد المسيحية ومنطلقها الى العالم، وعاصمتها الروحية، بدون القدس توجه الى المسيحية المشرقية بكل بطريركياتها الانطاكية والاسكندرية ضربة قاصمة ماسحة.■